مقدمة الطبعة العاشرة

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة فصلت: ٣٣). والصلاة والسلام على أفضل داعٍ إلى التوحيد سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

اما بعد: فلا يخفى أن علم التوحيد هو أفضل العلوم على الإطلاق، إذ هو الذي من أجله بعث الله الرسل وأنزل الكتب، وأنه خلاصة دعوة الأنبياء، وزبدة رسالة المرسلين.

هذا وقد كنت كتبت ـ فيما سلف ـ رسالة وجيزة وسميتها: «تطهير الجنان عن درن الشرك والكفران» وهي

على صغر حجمها قد حوت أنواع التوحيد الثلاثة، وبرهنت بالأدلة النقلية والعقلية على تأييد محتوياتها، كما احتوت على دحض الشبهات التي يوردها المبتدعون، وقد طبعت ولله الحمد مرات عديدة في قطر وفي الكويت وفي مصر، وحصل عليها ولله الحمد إقبال من القراء، ولما نفدت الطبعات السابقة رغب فضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري في إعادة طبعها، وهو من أكبر الدعاة إلى دين الله وإرشاد الناس إلى الطريق المستقيم، وقد كثَّف جهوده ـ جزاه الله خيراً ـ على نشر العلم بمختلف طرقه من إرشاد ووعظ وتأليف ونشر الكتب العلمية من مختلف العلوم، وتوزيعها على المستحقين وإرسالها إلى كثير من الأمصار لأهل العلم والكليات والجامعات والمدارس، فله في هذا المجال الباع الطويل، وذلك يرجع الفضل أولاً لله سبحانه وتعالى، ثم إلى سمو أمير البلاد ـ حفظه الله ـ الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، فإنه يبذل في هذا السبيل الأموال الطائلة.

فوافقت على هذا المرام لنفع الخاص والعام، راجيًا المثوبة من رب العالمين في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وما زدت فيها على الطبعات السابقة إلا في موضعين:

الأول ـ نواقض الإسلام بعد أن ذكرت شروط لا إله إلا الله.

الثاني ـ تعليق على حياة الأنبياء والشهداء، وتفنيد شبه المحتجين على سماع الأموات وتصرفاتهم بعد الممات.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المؤلف

أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي

قاضي المحكمة الشرعية الأولى بدولة قطر

خطبة الكتاب

الحمد لله الذي أمرنا بالعبـادة، وبطاعته وطاعة رسوله، ووعدنا بالحسنى مع الزيادة، والصـلاة والسلام على سيدنا محمد، البالغ منتهى الشرف والسيادة، وعلى آله وأصحابه الذين منحهم الله العزة والسعادة.

أمـا بعـد: فلازال الإسـلام منذ أن طلع فـجره مُحَـاربًا، حورب مـن قريش وسائـر مشركي الـعرب، ومن اليـهود والفرس والروم والتتر والصليـبيين، وكتب الله النصر المؤزَّر للإسـلام والمسلمين، وأذل الله المشركين والكافـرين، ولكن الأعداء ـ وإن خـذلهم الله ـ ما فـتئـوا يحيكون المـؤامرات والدسائس ويبثون دعاياتهم الضالة ضد الإسلام والمسلمين، فتعددت مقالاتهم، وتنوعت مـذاهبهم، وانتسب كثير منهم إلى الإسلام، لأجل أن تروج عـقائدهم ويتم لهم القـضاء على الإسلام ـ لا سـمح الله ـ ومن أشدها فتكًا، وأخبـثها

دعاية، وأكثرها رواجًا، دعاية المخرفين والقبوريين والصوفية المبطلين[1] الذين لم يدخروا وسعًا في نشر البدع والضلالات باسم الدين، والدين منها بريء، كما دعوا إلى عبادة القبور وحسنوها للجماهير بشتى الأساليب، من بناء القباب الشاهقة عليها وتزويقها، ووضع الستور النفيسة عليها، لجذب الناظرين، والزائرين إليها، وأن تكون تلك القباب محل الدهشة والإعجاب، وجعلوا السدنة حولها

---

(١) لا المحقين؛ لأن الصوفية قسمان:

قسم محقون: وهم الذين تقيدوا بالكتاب والسنة، ولم يتجاوزوهما، وكل ما في الأمر أنهم غلبوا جانب الآخرة على الدنيا، كالجيلاني والجنيد وسهل التستري وأمثالهم.

وصوفية مبطلون: وهم الذين يخالفون الكتاب والسنة، ويتعدون حدودهما ويأتون بعقائد ما أنزل الله بها من سلطان، وبأعمال مخترعة يبرأ الكتاب والسنة المطهرة منها، كاعتقادهم بوحدة الوجود، واختراعهم أذكارًا واحتفالات يمتزج فيها الذكر بالرقص، ويختلط فيها الرجال والنساء، ويدق فيها الطبول وتنشر فيها الأعلام، ويأتون بمخاريق كضرب أنفسهم بالسكين والخنجر وأكل النار. اللهم اهد عبادك إلى الصراط المستقيم.

بالزائرين حول الضرائح، ويعلموهم كيف يدعون الأولياء، وينزلون بهم حاجاتهم.

ومن اختراع حكايات سمجة عن القبور، وكرامات مختلفة لا تمت إلى الصحة بنصيب، ومن إنشاء قصائد تطفح بالاستغاثات والنداءات التي لا تصلح إلا لخالق الأرض والسموات.

ومن تأليف كتب تدعو إلى عبادة الأنبياء والصالحين سبكت في قالب حب الأنبياء والأولياء، وأنهم هم الشفعاء لنا عند الله، والواسطة بيننا وبينه تعالى، ويعززون كلامهم بحكايات عن الصالحين ليس لها حظ من الصدق، وبأحاديث موضوعة كحديث(*): «لو اعتقدتم بحجر

(*) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: لا أصل له، وقال ابن تيمية: كذب، وقال ابن القيم: هو من كلام عباد الأصنام الذين يحسنون ظنهم بالأحجار.

لنفعكم»[1]. وبأقيسة فاسدة بما لا يدل على مطلبهم من آية أو حديث صحيح كما سترى في هذه الرسالة.

وعم هذا الداءُ الوبيل سائر الأقطار الإسلامية، ولم يسلم منه إلا القليل من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين الذين عرفوا التوحيد الذي جاء به الأنبياء والمرسلون، وبعض الأقطار الإسلامية كالمملكة العربية السعودية، بفضل دعوة علمائها المخلصين وملوكها المهتدين. فنتج من جرَّاء تلك الدعايات الضالة المضلة التي قام بها ونشط لها المبشرون بالضلال وعبادة غير ذي الجلال، أن انخدع بها الأكثرون، وانصرفوا عن توحيد الإله العظيم خالق الأنام، وتحمسوا لها، وأخذوا يتقربون إلى قبور الأنبياء والصالحين، وجاوز الأمر حتى تقربوا إلى

(١) هذا الحديث صريح في الوثنية المحضة، ينادي على قائله بأنه من أشد أعداء الإسلام، ومن الدعاة إلى عبادة الأحجار والأوثان والأصنام. فكيف يروج مثل هذا الحديث على أناس يزعمون أنهم من العلماء.

الأشجار والغيران المنسوبة إليهم بأنواع النذور، ودعائهم لكشف ضر نزل بهم، أو طلب ولد أو رزق أو وظيفة أو مطر، مما ليس في قدرة أحد إلا رب العالمين، وطافوا بقبورهم كما يطاف بالكعبة المعظمة، وشدوا الرحال إليهم من الأماكن الشاسعة بقصد الحج لتلك المزارات البدعية، وأوقفوا الأموال الطائلة على تلك الأضرحة المقدسة عندهم، حتى أنه قد تجتمع في خزائن بعض المقبورين أموال تعد بالملايين.

ورحم الله شاعر النيل «حافظ إبراهيم» حيث قال:

أحْيَاؤنا لاَ يُرْزَقُونَ بِدِرْهَمٍ ** وَبِألْفِ ألْفٍ تُرْزَقُ الأمْوات
مَنْ لِي بِحَظِّ النَّائِمِين بِحُفْرَةٍ ** قَامَتْ عَلَى أعْتَابِهَا الصَّلَوَاتُ
يَسْعَى الأنَامُ لَهَا وَيَجْرِي حَوْلَهَا ** بَحْرُ النُّذُورِ وَتُقْرَأُ الآيَاتُ
وَيُقَالُ هَذَا البَابُ بَابُ المُصْطَفَى ** وَوَسِيلَةٌ تُقْضَى بِهَا الحَاجَاتُ

وإنك لتجد الزحام حول تلك القبور واختلاط الرجال بالنساء وبكاء الكثيرين وصراخهم وعويلهم ودويّ أدعيتهم.

كما تجد كثيراً من مدعي العلم ومروِّجي الضلال يحسِّنون لهم تلك الأعمال ويحضونهم على تلك المنكرات من أجل نيل الحطام، ويأتي أولئك الجهال هذه الشركيات والبدع والضلال، باعتقاد أنها من صميم الدين، وأنها تقرّبهم إلى رب العالمين، لكونهم مخدوعين بدعايات أدعياء العلم ورؤساء الضلال، وسدنة الضرائح، والويل كل الويل لمن أنكر عليهم وأفادهم أن هذه الأعمال ليست من الدين بشيء، بل تنافيه، والدين منها بريء وأن الواجب عليكم أن تفردوا ربكم بهذه العبادات التي تتقربون بها إلى هؤلاء الأموات، والذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضراً ولا حياة ولا موتًا ولا نشوراً فضلاً عن غيرهم.

والعلماء إزاء هذه البدع والشركيات أصناف ثلاثة:

صنف يؤيد تلك البدع والخزعبلات ويدعو إليها، وقد يكتب وينشر في تأييد مذهبه، لاسيما إذا كانت له مصلحةٍ مادية.

وصنف يعرف الحق، وأن ما عليه جمهور الناس باطل وضلال، لكنه يساير العامة وأشباههم، إما رجاء، وإما رهبة، أو جبنًا!

وصنف ينكر ذلك ويدعو الناس إلى ترك المحدثات ويرشدهم إلى التوحيد والتمسك بالسنة المطهرة. وهؤلاء قليلون بالنسبة لذينك الصنفين.

وبالرغم من كثرة المؤلفات في هذا العصر[1]، من الممالك العربية وغيرها، وتنوُّر أذهان الكثيرين، لكنهم لم يهتموا بعلم التوحيد، لاسيما توحيد الألوهية. وقد يذكر بعضهم في ثنايا كتابه سطرًا أو سطوراً يستهجن هذه الأعمال، ويقول: ليست من الإسلام في شيء، ولكن هذا غير كاف. ولذا رأيت أن الحاجة ماسة في وضع رسالة

(١) كَتَبَ علماء الدعوة النجدية رسائل عديدة في بيان التوحيد والشرك. كما كتب الشيخ الصنعاني، والشيخ صديق حسن خان، ونفع الله بها، ولكن لم أجدها بالنحو الذي رأيته وكتبته.

في بيان أقسام التوحيد، وبسط الكلام على توحيد الألوهية، ومعززاً بالأدلة من القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم الصحيحة أو الحسنة، ودفع شبه المبتدعة، لعل الله ينفع بها عباده.

ولكن لكثرة الشواغل لم يقو العزم حتى شرفنا الشيخ عبد الحميد البكري السيلاني، الداعية لتوحيد الله وإفراده بالعبادة، والتمسك بسنة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين، والمحارب للبدع والمحدثات، والزيادة في دين الإسلام.

وقد ذكر لنا الأخ المذكور أنه يلاقي كثيراً من العناء والنصب في سيلان من الذين يدعوهم إلى نبذ الخرافات والبدع، وعبادة غير الله، وطلب مني أن أُسجل له كلمة في التوحيد، فسجلت له بالمسجل الذي معه.

فلما انتهيت من الإلقاء، قال الشيخ عبد الحميد: يحسن أن تكتب هذا الذي ألقيته، ليكون كرسالة، ثم تطبعها وتنشرها، وعليَّ بحول الله وقوته أن أُترجمها إلى اللغة

السيلانية والمليبارية، وقد ترجمها إلى اللغة المليبارية أخونا الفاضل محمد سليم ميران المليباري وطبعت.

فأجبته إلى ذلك، رجاء الثواب من الملك العلاَّم، والنفع لسائر الأنام. فكتبت الموضوع وراجعته وهذَّبته، وزدت عليه بعض الفوائد، وعلقت عليه تعاليق موجزة، وأصبح رسالة مفيدة، حاوية لأقسام التوحيد، مؤيدة بالأدلة من القرآن والسنة والأحاديث النبوية، ودفع الشبهات البدعية، وسميتها: «تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران».

أسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وموجبًا للفوز بجنات النعيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

أحمد بن حجر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات: ٥٦).

أي لآمرهم أن يعبدوني ويفردوني بالعبادة. وهذا هو التوحيد[1] الذي جاءت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام - من عهد نوح إلى عهد نبينا محمد ﷺ.

---

(١) التوحيد: مصدر وحَّد يُوحِّد. وهو لغة: العلم بأن الشيء واحد، واصطلاحًا: علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية، مكتسب من أدلتها النقلية والعقلية، وشرعًا: إفراد المعبود بالعبادة، مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتًا وصفاتًا وأفعالاً.